ديوان " قصائد لا محل لها من الإعراب
[1] " لتوفيق سالمي[2] دراسة دلالية

د. كمال جبار
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملخص

يدرس هذا المبحث دلاليا ديوان الشاعر توفيق سالمي الموسوم قصائد لا محل لها من الإعراب وتمت الدراسة وفق العناصر التالية:

- الدلالات الدياكرونية (الزمانية) (diachronique): وقمت في هذا العنصر باستقراء الدلالة الحديثة في لغة الشاعر، وذلك فيما يتصل بالحياة ككل في جوانبها الفكرية و الفنية والمحسوسة. و رصدت الرموز العامة التي لها صلة بالتاريخ الإنساني في مجموعه والتاريخ الأدبي العربي الإسلامي بصفة خاصة، وبيان وظيفتها الدلالية

- الحقول الدلالية: بناء على ذلك قام البحث بعملية استقراء وإحصاء شامل لمفردات كل حقل، بالبحث عن الجذور اللغوية للكلمات المفاتيح واشتقاقاتها، وما ينتمي إليها من مفردات أخرى ذات دلالة تتصل بها، وخلص إلى تحديد حقول بعينها سيطرت على ديوان الشاعر ففرضت نفسها على البحث على النحو التالي: (حقل الوطن- حقل الحزن – حقل الحب.).

(1) - ديوان " قصائد لا محل لها من الإعراب" طُبع على نفقة الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها؛ التابع لوزارة الاتصال والثقافة.وظهر ضمن منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين سنة 2004م، عن دار هومة.

(2) - توفيق سالمي بلقاسم؛ شاعر جزائري معاصر. ولد يوم 21 أوت 1954م بقرية تاورة ولاية سوق أهراس، شرق الجزائر. تعلم بمسقط رأسه، ثم أَتمَّ دراسته بسوق أهراس. وبعد نجاحه في امتحان البكالوريا التحق بمعهد العلوم الدقيقة بجامعة قسنطينة سنة1980م. تحصل على شهادة الليسانس في العلوم الدقيقة، تخصص العلوم الفيزيائية.عُين أستاذًا لمادة الفيزياء في التعليم الثانوي،وما زال يمارس هذه المهنة إلى يومنا. وقد كان حُبّ الشّاعر وشَغَفه بالأدب والشّعر خاصة حافزًا قويا له لكي يلتحق بقسم الأدب بجامعة سوق أهراس، لينال في نهاية الدراسة شهادة الليسانس في الأدب العربي. وهو يحضر رسالة ماجستير بجامعة عنابة، قسم اللغة العربية وآدابها. نَشَر أشعاره مُنذ السبعينيات في صحف وطنية مختلفة منها النصر، والشَّعب والجمهورية، وبعض المجلات المتخصصة كمجلة الثقافة، التي كانت تصدرها وزارة الإعلام والثقافة. نال جائزة الشعر الجامعي سنة 1979م.كما ظهر اسمه في معجم البَابِطِين للشُّعراء العرب المعاصرين. أسس نادي الإبداع الأدبي مع جملة من المبدعين بسوق أهراس ويُعدّ من أعضائه النشطين، ويشارك في الملتقيات الشعرية الوطنية باستمرار.

من مؤلفاته: مجموعة شعرية " على نغمات الرصاص" (مخطوط) . وديوان " قصائد لا محل لها من الإعراب منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين 2004م.

Summary

This research semantically studies diwan the poet Taoufik Salmi,The study was conducted according to the following elements:

- Diachronic semantics: In this element I extrapolated the modern meaning in the language of the poet, in relation to the life as a whole in the intellectual, technical and concrete aspects.

General symbols related to human history in general and to Arab-Islamic literary history in particular and its semantic function have been identified

- Semantic fields: On the basis of this research, the process of extrapolation and a complete census of the vocabulary of each domain, search for the roots of words and keywords and derivatives, and belonging to other elements related to them, and concluded identify specific areas dominated the diwan of the poet, as follows: (Field of the homeland - the field of punishment - the field of love.).

1- الدلالات الدياكرونية (الزمانية):

تمهيد:

يعود مصطلح الدياكرونية (diachronique) إلى الثنائيات التي أطلقها **دي سوسير** في كتابه الشهير (دروس في اللسانيات العامة)، حيث فصل بين الآنية synchronique، و الزمانية أو التطورية diachronique. إذ يمكن تحليل بنية اللغة على ضوء هاتين المقاربتين فالآنية هي التي تعالج الموقف اللساني في لحظة بعينها من الزمان، على خلاف الزمانية التي تعنى بتاريخ اللغة، وأطلق اللسانيون على الأول المنهج الوصفي، وعلى الثاني المنهج التاريخي وقدم المنهج الوصفي على التاريخي من حيث إجراءات البحث. [1]

ومن المعلوم بداهة أن اللغة مثل الكائن الحي تنمو؛ وتؤثر؛ وتتأثر، ولا تعرف السكون والاستقرار، فهي " ليست ساكنة بحال من الأحوال بالرغم من أن تقدمها يبدو بطيئا- في بعض الأحايين- فالأصوات والتراكيب وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير و التطور واللغة تنتقل من جيل إلى آخر على فترات تتخللها تغيرات وانحرافات دائمة وهذه الحقيقة ذاتها تؤدي إلى المرونة في الاستعمال اللغوي و إلى عدم ثبات الظواهر اللغوية أكثر من أي عامل آخر".[2]

(1)- ينظر: بوقرة (نعمان) ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة،(عنابة، منشورات جامعة باجي مختار،2006 م)، ص 92.

(2) - الرويني (محمد علي عبد الكريم) ،(فصول في علم اللغة العام، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى، (د.ت))، ص226.

يفهم من الكلام السابق أن اللغة تشبه الكائن الحي؛ يعتريها ما يعتريه وتجري عليها سنن الحياة كما تجري عليه. وبما أن العامل الأساس في اللغة مرونتها، وقابليتها للتجدد والتبدل وبناء على ذلك فسيبنى هذا المبحث على المنهج التالي:

1. استقراء الدلالة الحديثة في لغة الشاعر، وذلك فيما يتصل بالحياة ككل في جوانبها الفكرية و الفنية والمحسوسة.

2. رصد الرموز العامة التي لها صلة بالتاريخ الإنساني في مجموعه والتاريخ الأدبي العربي الإسلامي بصفة خاصة، وبيان وظيفتها الدلالية.

أولا: الدلالة الحديثة:

تعتمد الدراسة على تأصيل الكلمات التي تقتطف من قصائد الديوان، وتبين دلالتها الحديثة، وذلك بربطها بمعجم معاصر، أو كتاب علمي تناول هذه الحقائق المعرفية. ثم تبرز تفاعلها في السياق الذي وردت فيه. وهي عينات مأخوذة من مواضع شتى من الديوان.

النفط:

أسائلني... أسائل هذي الأنابيب... بوتقة الاختبار[1]

التي علمتني خصائص هذي المياه: هل الماء...يصبح نفطا..

أم النفط يصبح ماء... أم البقعة العربية مدت يديها لتحتضن

الأطلسين

كلمة النفط حديثة؛ يشرحها (المنجد في اللغة والأعلام) بأنها: من الفعل نفط؛ نفطا: غضب؛أو احترق غضبا و النفط؛ الواحدة " نفطة " أعواد في

رؤوسها مادة فسفورية تشتعل بالحك؛ والنفط: دهن معدني سريع الاحتراق توقد منه النار ويتداوى به.[2]

ويبدو استعمال الشاعر لهذه اللفظة للدلالة على التحول الكبير الذي أصاب المفاهيم في عصرنا. فانقلبت رأسا على عقب، وهي مفارقة عجيبة ولدت من رحم هذا الزمان العجيب، فهل يصبح الماء نفطا؟!!

البنادق:

علمتني ثورتي[3]

قصة حب البنادق

إن لفظة البنادق مفردها بندقية تحمل دلالة حديثة؛ لنوع من أنواع السلاح المستخدم في الحروب. وهي في الأصل مأخوذة من بندق إليه: حدد النظر إليه؛ والبندق: كل ما يرمى به من رصاص كروي وسواه (فارسية)؛ والبندقية: البارودة.[4]

---

(1) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص18.

(2) - المنجد في اللغة والأعلام، (ط 21، دار الشروق، لبنان، بيروت)، ص 827.

(3) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص21.

(4) - المنجد في اللغة والأعلام، ص 50.

وذكر الشاعر البنادق في هذا المقام، لأنه يتحدث عن الثورة الجزائرية؛ التي هي معلمه الأول، ألهمته حب الحرية، التي تنتزع بالبنادق، فتؤخذ بها، ولا تعطى. وعبارة " **قصة حب البنادق** " شديدة الإيحاء، تدل على رفض قاطع للضيم، وعزة نفس وكبرياء، وعزم على دحر الظلم، وتغيير المصير بقوة السلاح والنار.

القطار:

وعادة الجو في الشتاء ماطر[1]

وأسمع من خلفها قعقعة القطار ضاحكا،، ملوحا بيده

فذلك القطار سائر

القطار في الأصل اللغوي، جمع قطر: وهو المطر، والقطر بالكسر: النحاس الذائب، والقطار بالكسر: أن تشد الإبل على نسق واحد خلف واحد وقطر الإبل يقطرها قرب بعضها إلى بعض على نسق واحد.[2]

ولقد اكتسبت كلمة القطار دلالتها الحديثة بعد اختراع العربات التي تجرها القاطرة البخارية والكهربائية، و التي تسير على خطوط حديدية محددة.

وإيحاء الكلمة لا ينحصر في دلالتها المادية، وإنما يتعداه إلى الدلالة عن الغربة النفسية، التي يعانيها الشاعر في هذا الزمن، فالأحزان تسافر من أرض عربية إلى أخرى.

الزحام:

لم أقلها [3]

كي أقيك من ظلام و قتام

وأنا اليوم أنادي

فأنقذيني

وادفعي عني الزحام

دلالة كلمة الزحام قديمة،جاء في (اللسان) زحم: الزحم: أن يزحم القوم بعضهم بعضا من كثرة الزحام، إذا ازدحموا. والزحمة، والزحام وزحم القوم بعضهم بعضا يزحمونهم زحما وزحاما: ضايقوهم.[4]

واكتسبت دلالة حديثة من موضعين، الأول تصويرها المدينة الحديثة وما يكون فيها من اختلاط الناس الشديد على تباينهم، وعدم تمييز الغريب من كثرتهم، والموضع الثاني من خلال التركيب الذي وردت فيه وادفعي عني الزحام،أي زحام الغرباء كما يبدو من سياق القصيدة.

ثانيا: الرموز العامة:

بلال:

---

(1) – - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص70.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، (ط1، بيروت، دار صادر، (د.ت) ، ج 05، مادة قطر)، ص 105.

(3) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 30.

(4) - ابن منظور، لسان العرب، (ج 12، مادة زحم)، ص 262.

حيث ارتفع الصوت، بلال [1]

أذن في الأصنام

فتهاوى الصخر فوق الصخر.

بلال بن رباح الحبشي (ت:20هـ): صحابي. أول من أذن. توفي في دمشق.[2]

وإقحام بلال في هذا السياق الشعري؛ يدل على صوت الحق الذي يعلو و لا يعلى عليه فالظالم مرتعه وخيم، مهما طال ليل ظلمه.

و كما انتصر في الماضي البعيد، سيسود في الحاضر والمستقبل. فبلال كان عبدا أسيرا و أصبح حرا طليقا، حرره الحق، ليرفع صوته عاليا ينادي بالحق. ولا يخشى لومة لائم.

عمار:

عمار... يطلب قطرة ماء[3]

قطرة ماء يا أهل البدر

عمار يطلب رمحا

يطلب سيفا

عمار بن ياسر (ت 37هـ) صحابي من المسلمين الأوائل. أبوه ياسر وأمه سمية أول شهيدين في الإسلام. شهد المشاهد مع النبي – صلى الله عليه وسلم- قتل في صفين بجانب علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- [4]

استوحى الشاعر قصة عمار بن ياسر من التراث الإسلامي الزاخر بسير الأبطال، الذي عُذب أشد العذاب، ليرجع عن دينه فرض في عزة وكبرياء، وقُتل أهله أمام عينيه لكنه صمد وتجلد. وذكره في هذا السياق انسجم انسجاما تاما مع موضوع الخطاب الشعري،الذي تمحور حول بطل من أبطال الجزائر يوغرطا، كما قرر حقيقة تاريخية ذات بعد ديني عقدي.وتتمثل في الصراع الدائم بين الحق والباطل، والتضحيات الجسام التي قدمها أهل الحق في صراعهم الأزلي مع الطغاة منذ فجر التاريخ وكأن الشاعر يريد أن يقنع نفسه بهذه الحقيقة بعدما صدمه الواقع الذي يعيشه بقوة فعمار بن ياسر فسحة أمل تفتح له تريح نفسه الظامئة.

الصمت:

و ما علمتنا الوشائع هذي الوشائج.. ما عودتنا لغة الصمت [5]

وإن كان صمت المقابر في عصرنا لغة قائمة

لأننا يا أمتي أمة حالمة.

---

(1) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص63.

(2) - المنجد في اللغة والأعلام، ص133.

(3) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 64.

(4) - المنجد في اللغة والأعلام.ص 379.

(5) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 93، 94.

يدل الصمت في هذا السياق على الرضا، و على رغم من أن الشاعر يريد أن يؤكد الرد و الرفض في هذا المضمار. إلا أنه يجبر على الرضوخ في الأخير إلى الواقع المقيت، أين أصبح الصمت لغة قائمة بحد ذاتها.

الغول:

- فضيحة أخرى تقدم للحديد [1]

غول الحضارة فاتحا شدقيه يلهث من بعيد

والصامتون حجارة

وجهنم للصامتين هي الوعيد.

- آه يا وطني [2]

صرت غولا مخيفا

" يأتلف رمز الغول من اجتماع الآثار الأدبية واستفادتها من صورة الغول في مخيلة الشعراء والكتاب القدماء، والآثار الأسطورية في الحكايات الشعبية."[3]

وإضافة الغول إلى كلمة الحضارة،أكسب التركيب دلالة حديثة أخرجته من مدلوله الخرافي. والغول: كل ما أهلك الإنسان فهو غول، والعرب تسمي كل داهية غولا على التهويل والتعظيم.[4]

والشاعر صور السيارة، التي قتلت التلميذة البريئة بالغول يقبل مسرعا فاتحا شدقيه لاهثا. وهي صورة أسطورية، تنم على الوحشية والهمجية التي رافقت مصرع الطالبة.

وإذا جئنا إلى المقطع الثاني فالوطن في حقيقة الأمر رمز السكينة والطمأنينة والعزة والكرامة والشعور بالانتماء، تحول إلى غول مرعب مفزع نحبه ونهرب منه.و كان الأجدر أن نحتضنه ونحتمي به.

الوجد:

وتغمر جسمي[5]

قشعريرة الوجد تلك التي غمرتني لأول مرة حين لقاك.

" الوجد ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل هو بروق تلمع، ثم تخمد سريعا."[6]

وقد منحت لفظة قشعريرة،المضافة إلى الوجد التركيب دلالة مكثفة.وصورته في قالب حركي، أخرجه من المعنوية إلى المادية.

يوسف:

فتت الصخر صخر... وأينع في الجو برق النضال فلا الطهر ظل[1]

---

(1) - المصدر نفسه، ص 53.

(2)- سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 12.

(3) - الداية (فايز) ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، (ط2، دمشق، دار الفكر، 1996م)،ص 471.

(4) - ابن منظور، لسان العرب، (ج 11، مادة غول)، ص 507.

(5) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 57.

(6) - ينظر: الداية (فايز) ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص 466.

ليوسف دوما...

وكيف له يوسف أن يظل بريئا وهذي زليخة تنبت كالشوك في

كل ربع

يوسف (القرن الثالث عشر قبل الميلاد): ابن يعقوب و راحيل وأبو منسى وإفرايم، باعه إخوته حسدا إلى تجار اسماعيليين. أصبح وزيرا لفرعون ملك مصر، وتولى شؤون الإعاشة أيام المجاعة (التوراة).[2]

يوسف (عليه السلام) رمزٌ ديني، شاب مؤمن طاهر وقف صامدًا إزاء مفاتن الفاحشة، ذكرته الكتب السماوية، وقَصَّ القرآن الكريم قصته مع إخوته كاملة، وذكره الشاعر في هذا المقام، عند حديثه عن الطُهر المفقود في هذا الزمان الأسود القاتم؛إذ أصبح عملة نادرة، وأُجْبِرنا على نسيانه عنوة.

القلاع:

حتى تبقى هكذا قلاعك[3]

ليس فيها غرباء

ليس فيها غرباء

كلمة القلاع لها بعد رمزي، وتحمل دلالة أسطورية تاريخية. وهي هنا في سياقها تعني الهروب من المجهول، والانطوائية، والبعد عن الناس.

فالشاعر يريد لمن يحب أن لا تختلط بالغرباء. وكأنه يخشى عليها من الضياع في زمن لا يرحم

نوفمبر:

نوفمبر يحيا رغم العصر[4]

تمتد يداه نحو البحر

تمنح عمارا قطرة ماء.

نوفمبر اسم شهر من شهور السنة، وهو في هذا المقام يعني الثورة الجزائرية الكبرى التي عرفت انطلاقتها في هذا الشهر، فأصبح رمزا وطنيا مقدسا، يرمز للحرية، والفداء، ونكران الذات، والتضحية بالنفس والنفيس.

نوفمبر في وجدان الشاعر أكثر من ذكرى، وعبرة، إنه تاريخ مجيد كتب بدم الشهداء.

عشتار:

فالحب في بلدي في النار منبته والدم يذكي أتون الحب والنار[5]

و الشعر يضرم أشواقي ويشعلها ينأى الظلام وتنأى فيه عشتار

(1) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص13.

(2) - المنجد في اللغة والأعلام، ص624.

(3) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 30.

(4) - المصدر نفسه، ص66.

(5) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص46.

عشتار إلهة الحرب و الحب عند سكان مابين النهرين، وهي عشتروت الفينيقيين، أعادت الحياة إلى أدونيس بعد أن قتله خنزير بري.[1]

ربما الباعث على ذكر عشتار هنا، أنها رمز أسطوري قديم من رموز الحب فالشاعر يبعدها ولا يرضى بها - كما يفهم من سياق القصيدة- فهو لا يعترف إلا بالحب في بلده، وهو مصدر إلهامه ومضرم أشواقه.

الخنساء:

وتفلت من أخت صخر المراثي[2]

مراثي الصهيل الحنون

ولا تعلم الآن ماذا ستبكي؟!

قصد بـ: (أخت صخر)، الشاعرة الخنساء (توفيت سنة 645 م): أعظم شواعر العرب. قتل أخواها معاوية وصخر فرثتهما.ثم رثت أولادها الأربعة الذين قتلوا في وقعة القادسية.[3]

وقد ذكر الشاعر الخنساء؛لأن المقام مقام حزن وكآبة، وهي على كثرة مراثيها التي سجلها تاريخ الأدب، تقف عاجزة – حسب القصيدة – على رثاء الوضع الراهن الكارثي، لأنها ببساطة لن تجد ما تبكيه، فما عاد للمراثي المعنى نفسه.

فهذه ألفاظ منتقاة أخذت من الديوان، وتَمَّ تتبعها، لتأكيد حقيقة موت وحياة الكلمات في اللغة، وبيان قيمة الرمز الشعري من حيث الدلالة.

وفي المبحث التالي سنتطرق إلى الحقول الدلالية المسيطرة على الديوان لنصل إلى إبراز أهمية هذه النظرية في التفسير الدلالي للنصوص الإبداعية.

2- الحقول الدلالية:

من المصطلحات المستحدثة؛ التي وجد الدارسون صعوبة في تحديد مدلولها، و تضاربت الآراء حولها؛ مصطلح الحقل الدلالي. إذ لم يتمكنوا من تقديم تحديدات وتعريفات دقيقة له إلا بعد بحث طويل وعميق.

فقد يطلق بعض الدارسين مصطلح المجال الدلالي للحقل الدلالي وهما- في الحقيقة - وجهان لعملة واحدة.

ويرى اللسانيون أن أول من أدخل مصطلح الحقل الدلالي إلى اللسانيات في بداية الثلاثين من القرن العشرين، الألماني TRIERبدراسة أنجزها حول مفردات اللغة الألمانية عنوانها: الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة. ومن التعريفات التي أعطيت للحقل الدلالي، تعريف **أولمان** بأنه: " قطاع متكامل من المادة اللغوية؛ يعبر عن مجال معين من الخبرة."[4]

---

(1) - المنجد في اللغة و الأعلام، 375.

(2) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 74.

(3) - المنجد في اللغة و الأعلام، ص 234.

(4) - سعودي أبو زيد (نواري) ، الدليل النظري في علم الدلالة، (عين مليلة، الجزائر،دار الهدى، 2007 م)، ص 129.

ومعنى ذلك أن الحقل الدلالي يشمل قطاعا دلاليا مترابطا، يتكون من مفردات اللغة التي تعبر عن فكرة معينة أو موضوع ما. نحو ما نجده من كلمات:أب؛ أخ؛ جد؛ عم... التي ترتبط بمفهوم أساسي؛ هو عنوان الحقل الذي تنتمي إليه (القرابة)، وألفاظ من مثل: خاتم؛ سوار؛ عقد؛ خلخال التي تجتمع تحت معنى عام يحتويها، وهو مفهوم الزينة.[1]

ويعرفه (جورج مونان) "هو مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل."[2]

وتتلخص أهم مبادئ نظرية الحقول الدلالية فيما يلي:

1. إن الوحدة المعجمية تنتمي إلى حقل واحد معين.
2. كل الوحدات تنتمي إلى حقول تخصها.
3. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة اللغوية.
4. مراعاة التركيب النحوي الذي ترد فيه الوحدة اللغوية.[3]

و يرمي تحليل الحقول الدلالية إلى جمع كل الألفاظ التي تخص حقلا محددا، والكشف عن صلة هذه الكلمات ببعضها البعض، وعلاقتها بالمفهوم العام، وبناء عليه لابد لفهم معنى الكلمة أن تفهم مجموعة الكلمات ذات الصلة بها دلاليا.

ويفرع الدارسون الحقول الدلالية إلى أنواع، تتلخص فيما يلي:

1. الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
2. الأوزان الاشتقاقية.
3. عناصر الكلام وتصنفاتها النحوية.
4. الحقول التركيبية
5. الحقول المتدرجة الدلالة.[4]

ولنظرية الحقول الدلالية أهمية كبيرة في دراسة الدلاليات الوصفية وتطبيقاتها، ويمكن لها تقديم رؤية جديدة تعالج حدود المفردات اللغوية على مستوى البناء الدلالي، إلا أنها تبقى رؤية لسانية معجمية تعاني بعض القصور، نجمله فيما يلي:

- كيفية تحديد الحقل، وتصنيف المفاهيم، والوحدات التي تكونه.
- اللغة كل متكامل، والألفاظ يمكن أن تنتقل من حقل إلى آخر مع تطور الزمن.
- الاختلاف في تناولها، حسب الاهتمامات، والمنطلقات.
- إمكانية تصنيف بعض الألفاظ في أكثر من حقل، فلفظ (أحمر) ينتمي إلى حقل الألوان، لكن يمكن أن نجده في حقل الآراء السياسية.[1]

---

(1) - ينظر: المرجع نفسه، المكان نفسه.

(2) - عزوز (أحمد) ، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، (دمشق، سوريا، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2002 م)، ص12، 13.

(3)- عزوز (أحمد) ، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص 16.

(4) - المرجع نفسه، ص 17-19.

وتعد دراسة الحقول الدلالية طريقا من طرق الإفصاح عن شخصية الشاعر، ورؤيته النقدية، وأداة للحكم عليه، فكلما كان رصيده اللغوي ثريا دل ذلك حتما على سعة ثقافته وقدرته اللغوية، التي تمكنه من الإعراب عن ذاته، على أن يحسن التعامل مع مفرداته ويبرز براعته في توظيفها.

ويعتمد تحديد الحقول الدلالية وحصرها، على منهج الإحصاء الذي أثبت جدارته – رغم قصوره عن رصد أحاسيس الشاعر، وانفعالاته التي تعطي الدال قوة وتناغما بانتمائه لعائلة هذا الدال أو ذاك-إذ سيقوم الإحصاء بتسليط الضوء على المفردات الأكثر ترددا في الديوان، ومن خلال هذا التردد يمكن تحديد أهم الحقول الدلالية.

بناء على ذلك قام البحث بعملية استقراء وإحصاء شامل لمفردات كل حقل، بالبحث عن الجذور اللغوية للكلمات المفاتيح واشتقاقاتها، وما ينتمي إليها من مفردات أخرى ذات دلالة تتصل بها، وخلص إلى تحديد حقول بعينها سيطرت على ديوان الشاعر ففرضت نفسها على البحث على النحو التالي: (حقل الوطن- حقل الحزن – حقل الحب.)

أولا: حقل الوطن:

للوطن في ديوان الشاعر وجود فرض نفسه، فمن مجموع القصائد التي اشتمل عليها الديوان، نجد القصائد الوطنية قد أخذت الأغلبية، أي: هناك (إحدى عشرة) قصيدة من جملة (ثمان وعشرين)، التي احتواها الديوان. فحب الوطن قد تربع على عرش قلب الشاعر، وغزا شعره فأصبح لا يفتأ يذكره بكرة وعشيا.

إن كان الوطن في اللغة: "هو المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، وطن بالمكان وأوطن أقام به." [2]

إلا أن الشاعر وسع من إطاره الدلالي فأصبح أكثر رحابة، واتساعا فهو حبة الرمل والجبل، وهو قطرة الماء والبحر، وهو السماء والأرض، وهو بعد ذلك كل شيء في هذا الوجود.

و ظهر في حقل الوطن معجم لغوي كبير وشاسع، استخدم فيه العديد من الدوال كانت الغلبة فيه لدال الوطن. ويبدو أنه يتلذذ بذكره بطرق مختلفة على نحو قوله في قصيدة:" كتابات على مرآة مشروخة."

أجيئك يا وطني عاشقا تيمته الليالي [3]
لأدفن وجهي لديك...
على صدرك الرطب تغزو خياشيم أنفي رائحة العفن المالح
والعرق البارد
فالتفت حولك، ألصق جسمي بجسمك

(1) - ينظر: بوشحدان (آمال) ، ألفاظ الحضارة في ديوان محمود درويش أوراق الزيتون 1964 أنموذجا دراسة معجمية دلالية، (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة عنابة، 2004-2005.)، ص 14.

(2) - ابن منظور، لسان العرب، (مادة وطن)، ص 451.

(3) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص11.

تفنى الحدود

وتغدو دمائي بجسمك تقطر.

ورغم كريه الروائح،، رغم العفونة التف حولك أكثر

فقد علمتني ليالي اغترابي وبعدي عنك:

بأنك مهما تعفنت... مهما تعفنت... مهما تعفنت يا وطني

فبرعم حبك أخضر... أخضر

في هذه القصيدة، يُعَبِّرُ الشّاعر عن شدَّة تعلُّقه بوطنه، فقد تمكَّن من شِغَاف قلبه، فغَدَا لا يرضى عنه بديلاً، كما يبرز ذلك الدَّوال التالية: (عاشقا – تيمته الليالي- لأدفن وجهي لديك – ألصق جسمي بجسمك...).

ويبدو جليًا أن محور الوطن استحوذ على بنية النص اللُّغويَّة، فأصبح بمثابة العمود الفقري للقصيدة، حيث نجد الشاعر يستخدم كلمة (وطن) مرتين، ويُقرنُها بالياء الدالة على الملكيّة و الاندماج، فتبرز الذات المتكلمة قوية بإضافة كلمة وطن إلي ياء المتكلم، فتلغى المسافة بين الأنا والموضوع، وكأن الوطن أصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانه.

أضِفْ إلى ذلك استعمال الضمير الكاف والتاء من مثل: (أجيئك – لديك- صدرك- حولك- تعفنت...)؛ ونَمَّ ذلك على شدَّة تمسكه بهذا الوطن الجريح الذي أثقلت كاهله نوازل الدّهر،وسفكت دمه الطاهر الزكي.

وقد يلجأ إلى توسيع معنى الوطن والوطنية؛ ليشمل الوطن العربي بكامله، ويُعَبِّرُ عن همومه وأحزانه التي انغرست في جسمه، وأراقت دمه الصافي كالوديان بعد النكبة في فلسطين، ولبنان وأرض الجولان بسوريا.وهو نوع من الشعور بالانتماء، الذي سيطر على الشعر العربي في السنوات الأخيرة، وظهرت فيه تلك السَوداويّة القاتلة، التي تُفصح على معاناة نفسيّة مريرة نحو قوله:

انغرزت في جسمي الأظافر[1]

انغرزت للأخر

وانهمرت دمائي كالوديان

في حروفي

في الدفاتر

وانفتح فؤادي للجراح

والأملاح

للخناجر

واحمرت ثلوجنا البيضاء

في الجولان

في صنين

(1) - سالمي (التوفيق) ، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص69.

وكلها زعاتر

وترسم الدماء والدموع

خطوط عمري كالخرائط

ويقف الزمان بينها

كعابث وساخر

في السطور السابقة تتحرك الصياغة نحو إبراز نوع من العذاب السياسي الشديد و المرير، فالأرض الفلسطينية والجولان السوري ولبنان، أراضي عربية عزيزة على قلب الشاعر، يعشقها في وجدانه، ترزح تحت نير الاحتلال الغاشم، تغرق في صمت رهيب.أمام مرأى الأنظمة العربية المتخاذلة. لذا أعطى الشاعر الصدارة للسطرين المكررين التاليين:

انغرزت في جسمي الأظافر

انغرزت للأخر

مما زاد في مأساوية الموقف المعبر عنه.

وتأتي الدوال التالية تباعا للدلالة على سوداوية الوضع (انهمرت دمائي- للجراح- للخناجر- الدماء- الدموع...).

ومن ناحية الصياغة نجد الأفعال مهيمنة على القصيدة من أولها إلى آخرها، مما أضفى حركية عليها، فينطلق زمنها من الماضي (انغرزت-انهمرت- انفتح- احمرت)، ليصل إلى الحاضر والمستقبل (ترسم- يقف...)، وفي هذا دلالة على استمرارية المعاناة، وديمومة الحزن.

ويستدعى الشاعر في موضع آخر من عمق التاريخ الجزائري، شخصية وطنية معروفة (يوغرطا)، هذا البطل البربري الذي ثار ضد الظلم والقهر،الذي يتوق إلى الحرية والخلاص من ربقة الاستدمار، فهو رمز للتضحية من أجل الوطن، وكأنه بعودته إلى الماضي، يريد أن يقول إن حب الوطن والتضحية من أجله ميراث الأجداد والآباء للأبناء جيلا بعد جيل، لا ينقطع، وفي هذا نزعة تفاؤلية تجعل الشاعر يؤمن بأن بعد الانكسار يأتي الانتصار إذ يقول:

يوغرطا [1]

يا فرنسا لم يترجل بعد

رمحك هذا اللامع مثل الضوء

وجه سيفك نحو البحر

حيث ارتفع الصوت، بلال

أذن في الأصنام

فتهاوى الصخر فوق الصخر

والملاحظ من حيث الصياغة، أن الشاعر يكرر اسم يوغرطا (أربع عشرة) مرة ويبنى عليه دلالة القصيدة.

(1) - سالمي (التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص 63.

ولقد تتطور العلاقة العاطفية القوية بين الشاعر ووطنه فيناجيه كما يناجي المحب حبيبته، ويعاتبه ويلومه، فهو يهرب منه رغم ما يجيش في نفسه من مشاعر صادقة نحوه، فيقع في مأزق الحيرة والإضراب ترجمتها هذه الاستفهامات المتعاقبة فيقول تي قصيدة " قدري":

وطني تهرب مني تسكن في[1]
أقسو وأقاضيك
تقسو أكثر إذ تتمزق إذ تتفتت في الشطآن
هدرا دمك النازف في الشطآن
هدرا هذا البحر الناشد بر أمان
ممن آخذ ثأرك يا وطني..؟
هذي قبائلنا اجتمعت.. قسمت.. وزعت..
قطرا.. قطرا.. فطغى القطران
كيف سأجمعها قطرات دمائك..؟

هنا يبدو من خلال الأسطر- وقد تكرر الفعل (أقسو – تقسو)- أن الشاعر يعزي نفسه بوطنه الجريح، الممزق كالرماد تذروه الرياح، دمه ينزف وديانا وأنهارا، وهي صورة بشعة تثير أشجانه، وتعمق أحزانه، فيشرع في البحث عن كل ما يمكن أن يعيد له الحياة، وينبت في قلبه الأمل، ويدل هذا – ولا ريب- على إيمانه العميق بالوطن والحياة رغم هول الفاجعة.

ثانيا: حقل الحزن:

الحزن ماثل بقوة في ديوان الشاعر، إذ يسيطر على جل قصائده.وهو شعور وجداني يطبع نفسيته، يتفطن إليه كل من يدرسه. وهذه الظاهرة تعد سمة غالبة على الشعر الحديث، لها أسباب تبررها.ربما الغربة الوجدانية التي يعيشها المثقفون عموما في عصرنا، ويكفينا للتدليل على ذلك تتبع الدوال التالية: (تمزقت، داريت جرحي، مرارة ذلي وعاري، الحنظل المر، زرع الحزن، من تهجى الحزن في عمق القصائد، في ليل العصافير الحزانى، هذا الزارع للأحزان...).

بل أكثر من ذلك نجد في ثنايا الديوان قصيدة بعنوان " ضياء الحزن " والتي يقول فيها:

لأي الوردتين ترى أغني؟ وجرح الورد يملؤني جراحا[2]
وجرح الحزن في شفتي نزف وضوء الحزن في شفتيك لاحا
أمات الحزن من خدي فجرا وفي خديك قد حمل الصباحا
ضياء الحزن يا ضوءا بقلبي ويا أملا على الهدب استراحا
قضيت العمر في صمت أغنى فضاع العمر من عمري و راحا

(1) - سالمي (التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص31، 32.

(2) - سالمي (التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص67.

فهذه القصيدة العمودية تكونت من(أحد عشر) بيتًا، كرَّر فيها كلمة حزن (خمس) مرات على طولها، يضاف إليها ما يدرج في حقل الحزن من دوال على نحو: (جرح، نزف، ضاع العمر، تمزقت الآهات، البكاء، ناحا...).

وبالاستناد على هذا الإحصاء، تبدو القصيدة غارقة في بحر من الأحزان، ولا غرو في ذلك؛ فالشاعر يشكو الوحدة والأماني العاثرة والجراح الغائرة، فكيف لمهجته أن تسكن وتهدأ وهذا وضعه؟!

ويتصدر السطر الشعري الاستفهام: لأي الوردتين ترى أغنى؟، وهو أسلوب يحمل الكثير من معاني الحيرة وضياع القصد، و الانهزامية، فما الدافع إلى الغناء إذا كانت الجراح الدامية تخضب نفسه الباكية؟!.

وقد يطغى هذا الحزن فيصل إلى ذروته، حينما يتذكر الشاعر أحزان وطنه وآلام شعبه العربي الذي يعاني أزمات خانقة، تتقدمها الأزمة السياسية، فيردف قائلا:

وما أنوي البكاء على حياة فكم تكل الزمان بنا وناحا[1]

ولكن للحروف هوى غريب فتنمو إذ ترى الندب الجراحا

وللون المخضب في الورود وللخفر الذي صنع الوشاحا

وللوطن الممزق للضياع وضد الصمت أرفعها سلاحا

جراح الحزن في شفتي نزف وجرح الورود يملؤني جراحا

جاءت الأبيات على شكل دفقات شعورية مكثفة، تتمحور دلالتها حول بؤرة دلالية واحدة هي بكاء الوطن الجريح، الذي أثقلت كاهله الضعيف خطوب الدهر، التي تأتيه من كل حدب وصوب.

وتبدأ بنفي صريح وقاطع من الشاعر، ما أنوي البكاء على حياة.ولقد جعل كلمة حياة نكرة وهذا يدل على هوانها عنده. فحروفه مثل الشجر تنمو وتزكو وتنتج إذا رويت بدماء الندب الجراح.

ثالثا: حقل الحب:

الشعر مجال مفتوح على مصراعيه، للتعبير عن مشاعر النفس ومكنوناتها. والحب شعور نبيل، لا يخلو منه شعر شاعر. لذا فحقل الحب في ديوان الشاعر، يدل على شفافية روحه ورقة مشاعره. وله يعود الفضل في تفجير طاقته الإبداعية.

وبنظرة متفحصة للمفردات، التي ضمها حقل الحب في قصائد الديوان. يظهر أنها تتمثل فيما يلي: (حبك- عاشقا- تيمته- شعور-حنان- غرام- قلبي-الوجد-الصب- الغزل- الأحاسيس...).

فهذا التنوع في استخدام الدوال، التي تدرج ضمن حقل الحب. يدل دلالة قاطعة على طغيان هذا الشعور، وتغطيته مساحة واسعة من فضاء الديوان. ومما يزيد هذا القول تأكيدا، تردد كلمة حب ما يربو عن (أربعين) مرة، في جميع القصائد، أضف إلى ذلك الدوال التي هي من جنس الحب التي تمت الإشارة إليها آنفا.

وقد تنوَّع الحبُّ عند الشاعر من حب الوطن، إلى حب الأم، إلى حب الصديق، و أخيرا حب الناس والتعبير عن أفراحهم وأتراحهم.

---

(1) - سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص68.

فمن حب الوطن، نتأمل هذه المقطوعة، المأخوذة من قصيدة

" علمتني ثورتي ".

علمتني الحب رمزا[1]

صنعوا منه الفنون

هو أوهام لفكر

أفسدوه بالظنون

إنما الحب شعور

ذاب في كل الخلائق

في المقطع السابق، تبرز الذات المتكلمة قوية بإضافة كلمة (علمت) إلى ياء المتكلم، فتلغى المسافة بين الأنا والموضوع، ويظهر التوحد بينهما، إذ يعتقد الشاعر أن حب الوطن رمز طاهر، ملهم للفنان، والمبدع، رغم محاولة الغزاة تشويه صورته، بالأوهام والظنون. إنه حب يسكن قلب كل مخلوق من الخلائق، فلا يمكن أن ينكر.

أما على مستوى الصياغة فنجد استعمال إنما، التي تفيد قصر موصوف وهو الحب على صفة وهي الشعور، فكأن الشعور لا يكون إلا حبا.

ومن حب الأم، نأخذ مقطعا من قصيدة "جرح في الذاكرة "

إني افتقدت حنانك – ماما - [2]

ومنذ افتقدتك عشت وحيدا

فأين ذهبت؟

لماذا ذهبت هناك بعيدا؟

فهذا الصغير صغيرك ماما

يحن إليك

وحبك كان عظيما فريدا

ويسأل الصغير الكبير

لماذا أزاحوا الترب عليها؟

وتحت الترب أضافوا حجارا

وصخرا صليدا شديدا

وكيف سترجع أمي؟

أتقدر أمي بهذا صعودا.....؟

وينتظر الرد لكن.....

.....

(1)- سالمي(التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص24.

(2) - المصدر نفسه، ص 84.

يبدأ الشاعر السطر الشعري بقوله (إني افتقدت)، وكأنه يؤكد واقعا مرا لا يريد أن يعترف به، رغم حدوثه، إنه رحيل الأم الرحوم؛ العطوف الذي أصابه في أعشار قلبه.

ويورد مآسيه وأحزانه عبر استفهامات متعاقبة، تنوعت أداة الاستفهام فيها (أين- لماذا- كيف- الهمزة)، وكلها تفيد شدة التحسر وكثرة الألم وإظهار الحيرة والاضطراب بعد فقدان الأم التي يحب.

وقد لجأ في آخر المقطع إلى الحذف، مما زاد الوضع دراماتيكية و مأساوية.

ومن القصائد التي عبر فيها الشاعر عن حبه لصديقه، قصيدة " وفي زمن الردة يموت الحب "؛ التي منها هذه السطور:

أراك[1]

فيستيقظ الحب ملء فؤادي

وتغمر جسمي

قشعريرة الوجد تلك التي غمرتني لأول مرة حين لقاك

وأذبح نفسي على مقلتيك

وأزهق روحي لكي لا تطير إليك

وأجفو هوانا كمثل جفاك

أراك

فكلمات الشاعر- كما يبدو من هذا المقطع- تقطر حزنا، على الصديق المتملق، الذي قابل الحب بالجفاء، و الإحسان بالإساءة. فهو يريد أن يذبح نفسه، ويزهق روحه لكي لا تهفو شوقا إلى صديقه الخائن لعهد الحب والوفاء. لكن هيهات له أن يفلح، فشوقه إليه ينبت بروحه روضة شجيرة ورد، لكن سرعان ما يهجم عليها الخريف، فيذكره آلامه، ويعظم حجم همومه، فيهرب من صديقه كي لا يراه.

أما على مستوى الصياغة فنجد في القصيدة تكرار (أراك)، الذي يدل على التجدد، وزيادة في التأكيد على رغبته في استمرار بقائه في حمى حبه لصديقه؛ كثف من سيطرة الأفعال المضارعة التي تمنح المعنى صفة الاستمرارية (أراك، يستيقظ، تغمر، أذبح، أزهق، أجفو...).

هذا ما اسْتُخْلِص من حقول دلاليّة بعد استقراء الديوان برمَّته وإحصاء الكلمات التي تدور في فلكه. ودلت هذه الحقول المُبينة سالفًا على قدسيّة الوطن في نظر الشّاعر، وإنسانيته، وتمسكه المتين بأرض هذا الوطن الكبير(العربي والإسلامي)، وتألمه النفسي الشديد؛ لأنه يعاني أزمات في شتى مجالات الحياة.

الخاتمة:

وقد كشف التحليل الأسلوبي للبنية الدلالية عن التحول المقصود لوظائف الرموز و الأساطير والشخصيات التاريخية، وأكسبها دلالات جديدة تنسجم انسجاما تاما مع سياق النصوص الشعرية ومضامينها.ولاحظ البحث طغيان حقول دلالية بعينها، وهذا الأمر لم يكن

(1) - سالمي (التوفيق)، قصائد لا محل لها من الإعراب، ص57.

عفويا بل هو خاضع دون شك، لتوجهات الشاعر الفنية والفكرية والثقافية، وعلى سبيل المثال هيمنة حقل الوطن، فالوطن بمفهومه الضيق أو الواسع موجود بقوة في نصوص الشاعر.